المحاضرة 5/ الحلف الصنهاجي وتأسيس دولة المرابطين ـــ النشأة · التوسع · الأثر الحضاري

المحور الأول :الجذور القبلية للصنهاجة

التنظيم القبلي ـــ الانتشار الجغرافي ـــ قبائل الصحراء الكبرى

الصنهاجة :الهوية والانتشار الجغرافي

القبائل الرئيسية:

لمتونة) الشمال ـــ جبال الأطلس وسهول المغرب الأقصى :(القبيلة المؤسِّسة ـــ قادة الحركة المرابطية.

جدالة) الغرب ـــ سواحل موريتانيا والسنغال :(أولى القبائل إسلاماً ـــ دور محوري مبكر.

مسوفة) الوسط ـــ الصحراء الكبرى :(الملثمون ـــ حراس الصحراء الكبرى.

لمطة) جنوب المغرب :(تعزيز القوة القبلية.

وداعة) الشرق ـــ حتى فزان وطرابلس في ليبيا :(شرق الاتحاد الصنهاجي.

التنظيم السياسي والاجتماعي لصنهاجة

الترحال والاستقرار :اتسم المجتمع الصنهاجي بالرحلة الموسمية بين المراعي، مما طوّر قدرات قتالية واستراتيجية متميزة في الصحراء الكبرى.

الملكية القبلية :كانت القيادة وراثية تتوارثها أسر بعينها، مع مجلس شورى للأعيان يُقرّر في الشؤون المصيرية كالحرب والسلم.

التجارة العابرة للصحراء :تحكّم الصنهاجة في طرق تجارة الذهب والعاج والملح بين إفريقيا جنوب الصحراء وشمالها، مما أعطاهم ثروةً ونفوذاً واسعاً.

اللثام رمزاً هوياتياً :اشتُهر الصنهاجة بتلثيم الوجه بالنقاب الأزرق، وغدا اللثام علامةً هوياتية تُميّزهم عن سائر الشعوب المغاربية.

المحور الثاني :الحركة الدينية وعبد الله بن ياسين

الجذور الفكرية للمرابطية ـــ دور الإصلاح الديني في بناء الدولة

عبد الله بن ياسين :المُصلح والمُؤسِّس

1009~م — الولادة :وُلد بمنطقة درعة بالمغرب الأقصى لأسرة ذات نسب شريف.

1035م — الرحلة العلمية :توجّه إلى سوس ثم إلى القيروان لتلقّي العلم على يد الفقيه وجاج بن زلو اللمطي.

1039م — البعثة الدعوية :عُيّن معلماً ومرشداً لقبائل جدالة بطلب من زعيمها يحيى بن إبراهيم الجدالي.

1042م — تأسيس الرباط :أنشأ دار المرابطة على جزيرة في نهر السنغال، مركزاً للتعليم والجهاد وإعداد الكوادر.

1056م — الشهادة :استُشهد في معركة كردفال وهو في ذروة قيادة التوسع المرابطي.

الأسس الأيديولوجية للحركة المرابطية

١ – الإصلاح الديني :محاربة الجهل والبدع .الرجوع إلى الفقه المالكي .تصحيح العبادات والمعاملات .إلزام الناس بشعائر الإسلام.

٢ – الجهاد كمشروعية :ربط التوسع بالفريضة الدينية .الجهاد ضد الوثنية في إفريقيا .الجهاد الدفاعي في الأندلس .سلطة الفقيه في القيادة.

٣ – التضامن القبلي :توحيد القبائل حول مرجعية دينية .الرباط كمدرسة وثكنة معاً .قيادة كاريزمية للمشايخ . التعاضد لمواجهة التهديدات.

المحور الثالث :التوسع العسكري والسياسي

يوسف بن تاشفين — توحيد المغرب — تأسيس مراكش

يوسف بن تاشفين :مؤسس الدولة1106 – 1009~) م(

المرحلة الأولى1056–1042) م :(قيادة الحركة مع ابن ياسين، ضرب بلاد السودان الغربي وتوسيع الرقعة جنوباً نحو نهر السنغال.

المرحلة الثانية1070–1056) م :(أمير لمتونة ثم الأمير الأعلى للمرابطين .التوجه شمالاً نحو المغرب الأقصى، الاستيلاء على سجلماسة وأغمات وتأسيس مراكش1062 م.

المرحلة الثالثة1086–1070) م :(توحيد المغرب بالكامل، ضمّ تلمسان وفاس والمغرب الأوسط، بناء دولة مركزية منظمة .لقّبه الخليفة العباسي بـ»أمير المسلمين.«

المرحلة الرابعة1106–1086) م :(العبور إلى الأندلس ومعركة الزلاقة، ثم ضمّ أغلب طوائف الأندلس إلى الدولة المرابطية.

أسّس مدينة مراكش عاصمةً عام1062 م .وحَّد المغرب الأقصى والأوسط تحت رايته .خاض أكثر من 200معركة في مسيرته .حكم حتى سن الـ 97وتوفي عام1106 م.

المحور الرابع :الأندلس ومعركة الزلاقة

1086م — المواجهة الكبرى — تغيير موازين القوى في الغرب الإسلامي

السياق التاريخي لاستنجاد الأندلس

أسباب الاستنجاد بالمرابطين:

-سقوط طليطلة بيد ألفونسو السادس عام1085 م وهول الصدمة على المسلمين.

-تشتت ملوك الطوائف واشتغالهم بالنزاعات الداخلية البينية.

-عجز أمراء الأندلس عن الصمود أمام التقدم المسيحي المتسارع.

-إرسال الوفود إلى يوسف بن تاشفين يستنجدون بقوته العسكرية.

-فتوى الفقهاء بوجوب الجهاد وضرورة الاستعانة بالمرابطين.

-التزام يوسف بالعبور دون طمع في ملك الأندلس في البداية.

موازين القوى :المرابطون والأندلس — القائد يوسف بن تاشفين 60,000~ — مقاتل — الفيلة + الطبول — نصر حاسم.

قوات ألفونسو — القائد ألفونسو السادس 40,000~ — فارس — الفرسان الثقيل — هزيمة نكراء.

معركة الزلاقة 23 :رجب479 هـ 23 / أكتوبر1086 م

الفجر :قوات الأندلس في المركز — المرابطون في الجناح الأيسر — هجوم ألفونسو على المركز الأندلسي أولاً.

الضحى :تراجع قوات الأندلس بشكل مقصود — ابن تاشفين يُشعل الطبول ويندفع بفيلته من الجناح.

الظهر :الإحاطة بقوات ألفونسو من الجناحين — فيلة المرابطين تُسبب الفوضى في صفوف الفرسان.

العصر :انهيار الجيش القشتالي — فرار ألفونسو جريحاً مع عدد قليل — نصر ساحق للمسلمين.

نتائج معركة الزلاقة وأثرها الحضاري

عسكري :وقف التمدد المسيحي لعقود .استعادة زمام المبادرة الاستراتيجية .تحرير أراضٍ واسعة كانت مهددة.

سياسي :ضمّ ابن تاشفين لطوائف الأندلس تدريجياً .توحيد المغرب والأندلس تحت راية واحدة .اعتراف الخليفة العباسي بلقب أمير المسلمين.

نفسي وحضاري :استعادة الثقة في المسلمين بعد صدمة طليطلة .بعث روح الجهاد في الشعوب الإسلامية . ترسيخ صورة المرابطين منقذين للإسلام.

المحور الخامس :التوسع في بلاد السودان الغربي

مملكة غانا — طرق الذهب والملح — الإسلام في غرب إفريقيا

الحملة على مملكة غانا وأهداف التوسع الجنوبي

مملكة غانا قبل الغزو :أقوى ممالك غرب إفريقيا في القرن11 م .تتحكم في تجارة الذهب القادم من بامبوك وبوري .تفرض رسوماً جمركية على قوافل الصحراء .عاصمتها قمبي في جنوب موريتانيا الحالية .سكانها وثنيون مع وجود نخبة تجارية مسلمة .سقطت عاصمتها بيد أبي بكر بن عمر1076 م.

أهداف وآثار التوسع الجنوبي:

الهدف الديني :نشر الإسلام وهداية الوثنيين وبناء المساجد والمدارس الفقهية.

الهدف الاقتصادي :السيطرة على مناجم الذهب وطرق تجارة الملح والعاجة والرقيق.

الهدف الأمني :تأمين الخاصرة الجنوبية للدولة المرابطية من التهديدات القبلية.

الأثر الإسلامي :انتشار الإسلام في الفضاء الغربي الإفريقي بشكل دائم ومستدام.

الحكم المرابطي في بلاد السودان الغربي

النشاط التجاري :إعادة تنظيم طريق الذهب عبر الصحراء .تشجيع التجار المسلمين على التوغل جنوباً .ضرب العملة الذهبية وتوحيد المعاملات .ربط أسواق كمبي بأسواق سجلماسة ومراكش.

الإدارة والحوكمة :تعيين ولاة مرابطيين على المناطق الخاضعة .الاعتماد على النخب المحلية المستقطبة . فرض الزكاة بدل الضرائب الوثنية القديمة .إلغاء الرسوم غير الشرعية على التجارة.

النشر الإسلامي :إرسال الفقهاء والمعلمين إلى المناطق الجديدة .بناء المساجد وتعليم القرآن للأهالي .تحويل الحكام المحليين إلى الإسلام .تحديد الزعماء الدينيين من المواطنين أنفسهم.

الميراث الحضاري :الإسلام راسخ في غرب إفريقيا حتى اليوم .نواة تجمعات بشرية إسلامية متواصلة .ممالك مالي وسنغاي امتداد لهذا الإرث .تأسيس مدن إسلامية علمية كتمبكتو لاحقاً.

الخط الزمني لدولة المرابطين1147 — 1040) م(

1040م :ابن ياسين يؤسس الرباط.

1056م :وفاة ابن ياسين.

1062م :تأسيس مراكش.

1076م :سقوط غانا.

1086م :معركة الزلاقة.

1106م :وفاة ابن تاشفين.

1147م :سقوط الدولة.

خلاصة واستنتاجات

١ – لم تكن دولة المرابطين مجرد فتح عسكري، بل كانت حركة إصلاحية دينية أعادت هيكلة المجتمع القبلي الصنهاجي ووجّهته نحو مشروع حضاري شامل.

٢ – أثبتت معركة الزلاقة أن الوحدة الإسلامية المغاربية–الأندلسية قادرة على وقف التمدد المسيحي، وأن القيادة الكفؤة تصنع الفارق الاستراتيجي الحاسم.

٣ – أسهم المرابطون في تشكيل الهوية الإسلامية لغرب إفريقيا بصورة دائمة، إذ غدت الممالك الكبرى التي تلتهم كمالي وسنغاي امتداداً لهذا الإرث الحضاري.

٤ – تُجسّد تجربة المرابطين نموذجاً تاريخياً على قيمة التفاعل بين الإصلاح الديني والتنظيم السياسي والقدرة العسكرية في بناء الدول.

6/ دور الممالك السودانية في تحديد شكل العلاقات السياسية مع المغرب الإسلامي

التمهيد المنهجي :نقد المركزية الشمالية

الرواية التقليدية المنتقَدة:

✗ المغرب :فاعل مبادر ومصدّر للحضارة.

✗ السودان :متلقٍّ سلبي ومستجيب محدود.

✗ العلاقة أحادية الاتجاه من الشمال.

✗ غياب الفاعلية السياسية السودانية.

✗ هيمنة المصادر العربية الشمالية.

القراءة النقدية المُعادة:

✓ الممالك السودانية :فاعل سياسي أصيل.

✓ امتلاك أدوات الضغط والتفاوض والمبادرة.

✓ التحكم في متغيرات تحدد شكل العلاقة.

✓ الإسلام :لغة مشتركة لا أداة هيمنة.

✓ التفاعل المتبادل لا الأثر الأحادي.

الإشكالية البحثية المركزية

إلى أي حد أسهمت الممالك السودانية الغربية — بمواردها وخياراتها الاستراتيجية وأنظمة شرعيتها السياسية — في رسم ملامح العلاقات السياسية مع المغرب الإسلامي، وتحويلها من علاقة تبعية إلى علاقة توازن أو مواجهة؟

التساؤلات الفرعية:

.1ما الأدوات التي وظّفتها هذه الممالك للتأثير في شكل العلاقة مع الشمال؟

.2كيف استخدمت الشرعية الإسلامية ورقةً سياسية في التفاوض مع دول المغرب؟

.3ما الفرق بين الاستجابة الغانية والمالية والسنغاوية مع ضغوط الشمال؟

.4هل انهيار سنغاي كان نتيجة ضعف داخلي أم تدخل خارجي منفرد؟

المحور الأول :مملكة غانة — القوة الاقتصادية سلاحاً سياسياً

الحقبة :ق11-9 م 5-3 / هـ

احتكار الذهب :كانت غانة تحتفظ بقطع الذهب الكبيرة وتطلق المسحوق للتداول فقط — ندرة مصطنعة لإدارة العلاقة مع الشريك الشمالي.

ضريبة العبور :نظام ضريبي محكم يُلزم القوافل المغربية برسوم المرور — تحويل الدولة السودانية إلى مُحتكِرة شرعية لمنافذ التجارة.

الغزو المرابطي1076 م469 / هـ — تحول النعمة إلى نقمة :الثروة السودانية هي ما استجلب التدخل —فاعلية غانة الاقتصادية كانت في آنٍ واحد مصدر نفوذها ومصدر الخطر عليها.

المحور الثاني :إمبراطورية مالي — توظيف الإسلام ورقةً دبلوماسية

الحقبة :ق15-13 م9-7 / هـ

حج مانسا موسى1324 م724 / هـ :رسالة سياسية مباشرة — مالي قوة عظمى ذات ثقل لا يُستهان به.

الاعتراف المتبادل :التوقف ببلاط المغرب لإرساء اعتراف يضع مالي في مصافّ الدول الكبرى.

الانفتاح :قبول العلماء والتجار والمؤثرات الثقافية الشمالية لتعزيز مكانة الدولة.

الاستقلالية :عدم تحويل الانفتاح إلى تبعية — لا اعتراف سياسي لأي حاكم مغربي.

القوة الناعمة :استقطاب العلماء والمعماريين كأبو إسحاق الساحلي لتعزيز النفوذ.

المحور الثالث :إمبراطورية سنغاي — الاستراتيجية والمواجهة

الأسقيا محمد1528-1493) م935-898 / هـ(

التمدد الجغرافي :السيطرة على مناجم تغازة) ملح الصحراء (وضعت سنغاي في موضع المتحكم في شريان اقتصادي مغربي رئيسي.

الشرعية الإسلامية :استصدار الفتاوى وطلب لقب» خليفة السودان «مباشرةً من مكة — تجاوز الوساطة المغربية.

التعاون العلمي :الاحتفاء بعلماء المغرب في إطار يُقدّم الأسقيا راعياً للإسلام لا تابعاً له) نموذج أحمد بابا التنبكتي.(

لماذا انهارت سنغاي رغم قوتها؟ داخلياً :أزمة خلافة حادة + اتساع مُعيق للسيطرة المركزية .خارجياً : البارود والمدفعية ـــ فارق تكنولوجي لا تفوق حضاري.

التحليل المقارن :أنماط الفاعلية السياسية السودانية

مملكة غانة :الأداة الرئيسية = احتكار الذهب والطرق التجارية .طبيعة العلاقة = تبادل مشروط بضريبة العبور .النتيجة = علاقة ندية انتهت بتدخل مرابطي مسلح.

إمبراطورية مالي :الأداة الرئيسية = الشرعية الإسلامية والقوة الناعمة .طبيعة العلاقة = تعاون انتقائي مع استقلالية سياسية .النتيجة = علاقة إيجابية مستدامة.

إمبراطورية سنغاي :الأداة الرئيسية = التمدد الجغرافي والتفاوض الديني .طبيعة العلاقة = توازن متأرجح بين التعاون والتوتر .النتيجة = انهيار تحت ضغط أزمة مركّبة سنة999 هـ1591 / م.

الانتفاع الانتقائي :استقطاب ما يعزز القوة مع رفض التبعية السياسية.

الضبط الاستراتيجي للموارد :السيطرة على الذهب والملح أوراق ضغط في العلاقة.

المرجعيات الرمزية :الشرعية الدينية مستوردة من مكة لمقاومة التبعية.

الفاعلية الثقافية والعلمية امتداداً للسياسة

تمبكتو :استقطاب العلماء من المغرب والأندلس والشام .إنتاج مخطوطات في الفقه والعلوم والتاريخ . تصدير الإنتاج الفكري لشتى أنحاء العالم الإسلامي .الإشعاع الثقافي يُعيد توزيع موازين الهيبة بين الإقليمين.

الحوار الفكري بين الإقليمين كان حواراً بين نِدَّين لا بين مُعلِّم ومتعلِّم ـــ الفاعلية السودانية حقيقة ثقافية وسياسية في آنٍ واحد.

الخلاصة والاستنتاجات

- 01الممالك السودانية كانت فاعلاً سياسياً حقيقياً يمتلك أدوات التأثير لا متلقياً سلبياً.

- 02الإسلام وفّر لغة تفاوض مشتركة وكان في الوقت ذاته أداةً في يد كل طرف لأهدافه السياسية.

- 03تباينت أساليب الفاعلية :اقتصاد) غانة ← (قوة ناعمة) مالي ← (توازن استراتيجي) سنغاي.(

- 04انهيار سنغاي :تقاطع أزمة داخلية مع فارق تكنولوجي خارجي ـــ لا دليلاً على التفوق الحضاري الشمالي.

- 05إعادة تأهيل الفاعلية السودانية :شرط منهجي لكل كتابة علمية رصينة في هذا التاريخ.

إعادة إنصاف الفاعلية السياسية للممالك السودانية ليست ترفاً أكاديمياً، بل شرط منهجي لكل كتابة علمية رصينة في تاريخ هذه المنطقة.

مراجع ومصادر للاستزادة

المصادر الأولية:

-البكري — المسالك والممالك) ق11 م(

-ابن بطوطة — تحفة النظار

-العمري — مسالك الأبصار

-السعدي — تاريخ السودان

-كعت — تاريخ الفتاش

-ابن خلدون — تاريخ ابن خلدون

المراجع الحديثة:

- Levtzion — Ancient Ghana and Mali

- Levtzion & Pouwels — History of Islam in Africa

- Elias N. Saad — Social History of Timbuktu

- Michael Gomez — African Dominion

- De Moraes Farias — Arabic Medieval Inscriptions

- Abitbol — Tombouctou et les Arma